وليس ثمة حاجة الى تكرارها . غير ان ما ينبغي تأكيده هو سيطرة عبدالناصر على المسرح العربي طوال فترة وجوده في السلطة . وقد حقق عبدالناصر في أوائل حياته السياسية عددا من المآثر التي كسبت له الثناء والاتباع في جميع انحاء العالم العربي. فقد استطاع بأعماله وأقواله أن يسيطر على الجماهير في معظم العواصم العربية وبقي بلا منازع بين الزعماء العرب الآخرين في المواهب السياسية وسحر الزعامة . كما كان لنشاطاته وزن لا يستهان به بفضل وجوده على رأس القطر العربي الاكثر سكانا والاقوى . وبدا كأن الامور في العالم العربي في اواخر الخمسينات واوائل الستينات كانت تحدث ببادرة من عبدالناصر أو كردة فعل لبوادره .

لم تكن أهمية عبدالناصر كشخصية تاريخية تنبع من صفاته الشخصية وحدها . وبالاحرى كان تأثيره ينبثق عن قدرة على التعبير عن آمال وتطلعات نطاق واسع من المجتمع العربي . وجوهريا ، كان عبدالناصر يجسم للجماهير العربية قيادة ديناميكية ومجددة ، ومستعدة لتحدي الوضع القائم الممقوت وتحويله . ولم تكن تبز اصلاحاته الداخلية الا سياساته الخارجية ، التي رفعت كثيرا من اعتباره بين العرب غير المصريين . وكانت الاجراءات المسؤولة عن ارتفاع شعبية عبدالناصر ارتفاعا صاروخيا هي تأميم المؤسسات المالية والتجارية الاجنبية ، وتأميم قناة السويس ، والمعونة التي قدمها للجزائريين في نضالهم ضد الاستعمار الفرنسي ، ورفض الاحلاف العسكرية التي يرعاها الغرب ، وصفقة الاسلحة مع الكتلة الشرقية التي أنهت الحظر الغربي على شحنات الاسلحة الى مصر ومناصرة القضية الفلسطينية . وصار ينظر اليه على انه الزعيم الذي استعاد للعرب كرامتهم وأعاد تأكيد الهوية القومية . وتطلع اليه القوميون على اختلاف الوانهم بوصفه الرجل القادر على انهاء حالة الشقاق وتحقيق أهداف الوحدة العربية العامة .

تحقق أول اتحاد سياسي في تاريخ العرب الحديث في الاول من شباط (فبراير) عام ١٩٥٨ عندما أعلنت مصر وسوريا عن تأسيس الجمهورية العربية المتحدة . وتم تبني شكل حكم وحدوي له رئيس جمهورية واحد ومجلس امة واحد . وغمرت الجمهورية الجديدة سيادتي الوحدتين العضوين كليا . وكان الشعور هو ان الاتحاد قد جعل سويا ما كان حالة شقاق شاذة . ولم يكن هذا ناشئا عن الهوية المشتركة للسكان فحسب ، بل عن الاستشرافات السياسية المماثلة التي تقاسموها ايضا . فالبيان المصري ــ السوري المشترك (الاول من شباط ــ فبراير عام ١٩٥٨) يعلن : « خرجوا (اي الموفدون المصريون والسوريون) من هذا بالاقتناعات بأن العناصر المساعدة على نجاح اتحاد الجمهوريتين كانت وافرة ، ولا سيما بعدما جعل نضالهما المشترك ــ الذي كان قد قرب احداهما من الاخرى أكثر فأكثر ــ معنى القومية أوضح بكثير ، وأكد على انه كان حركة من أجل التحرر ورد الاعتبار »(٦). وقد دعا السبيل الجديد الى الوحدة الذي أبرزه الاندماج المصري ــ السوري عام ١٩٥٨ الى توجهات عقائدية مشتركة بين المشاركين .

واستقبلت الوحدة المصرية ــ السورية بردود فعل مختلفة . فكانت تتمتع بشعبية غامرة على صعيد الجماهير لكن الطبقة الموسرة والعناصر المحافظة مذهبيا عارضتها معارضة شديدة .

وكان أول تأثير للوحدة على السياسة العربية هو اخافة الانظمة المحافظة وتنبيهها الى الاخطار التي تثيرها والازدياد السريع المفاجيء في المشاعر القومية. وشعر العراق والاردن ، ركنا الكتلة المحافظة في العالم العربي آنذاك ، بأن التطورات تهددهما بالخطر وسارعتا الى الاعلان عن تأليف اتحاد عربي بينهما . وعلى الرغم من هذا التحرك